أصناف المشكل من القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية

د. عبد العزيز ثابت

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة .

ملخص المقال:

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات القرآنية الأصيلة التي تهتم بموضوع من مواضع علوم القرآن ألا وهو : ـــ المشكل من القرآن الكريم ـــ ، وهي تهدف إلى بيان عناية العلماء بهذا النوع من العلوم الخادمة للقرآن الكريم ، فجاءت هذه الدراسة لتسهم في تأصيل هذا العلم ، وذلك بمعالجة كتاب من الكتب المصنفة في هذا الفن ، وهو كتاب : «تفسير آيات أشكلت » ، للإمام ابن تيمية ــ رحمه الله ـــ، وذلك بالتعرض لمنهجه في تناول علم المشكل من القرآن، وبيان أصنافه عنده، وطريقة دفعه له، وفي هذا خدمة للقرآن الكريم وعلومه.

This study falls within the quranic studies that are interested in the origins of interpretation and its rules, so the problematic of Qur'an is considered one of the necessary sciences for the interpreter; because knowing the reasons of the problematic, its types , the ways to avoid it and the most important books that are written about it is very crucial in the process of interpreting since it helps the interpreter remove lots of problems he faces while interpreting, and this subject treats one of the books that talk about the problematic, this latter belongs to a very well known Imam of interpretation Sheik- al-Islam IbnTaymia –may Allah rest his soul- it treats the book by talking about the types and kinds of problematic in it and clarifies them to simplify it for the students in the field of interpreting.

إنّ معرفة المشكل من القرآن أمر ضروري للمفسر فهو من الأهمية بمكان ، فهو يعدّ من أصول التفسير الواجب معرفتها والإلمام بها، فقد يقع للعامة والمبتدئين ما يوهم تناقضا وتعارضا بين آيات القرآن فضلا عن خواصهم من العلماء وطلبة العلم ، فلذا احتيج إلى إزالة هذه الإشكالات، كما أنّ بعض الإشكالات تأتي عن طريق شبهات يثيرها خصوم الإسلام حول القرآن الكريم، فمنذ نزوله وهم يتعرضون إليه بإثارة بعض الشبهات قصد التشويه وتشكيك الضعاف من الناس فيه، ولكن هيهات وأنّى ذلك فهو كلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ومن ثمّت كانت معرفة المشكل، وأسباب وقوعه، وأنواعه، وطرق دفعه ودرئه ضرورية حتّى يسهل على المسلمين تدبر معاني القرآن الكريم، وتطمئنّ قلوبهم اتّجاه القرآن، فجاء هذا البحث ليسهم في دراسة علم المشكل، وذلك بالتعرض إلى جهود عالم من العلماء الذين صنفوا في هذا الفنّ ودفعوا كثيرا من الإشكالات عن كتاب الله، هذا العالم هو شيخ الإسلام ابن تيمية فقد وضعا كتابا أسماه « تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتّى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب، بل لا يوجد إلاّ ما هو خطأ» فأحببت دراسة هذا الكتاب بغرض بيان أصناف المشكل عنده، ودراسة كهذه تتطلب الإجابة عن ماهية مشكل القرآن ؟ وتاريخ نشأة هذا الاستشكال ؟، وأهم المصنفات فيه ؟ وما هي أصناف المشكل عند هذا الشيخ ؟ هذه جملة من التساؤلات يسعى للإجابة عنها من خلال الخطة الآتية.

المبحث الأول: تعريف مشكل القرآن لغة واصطلاحا، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المشكل لغة:

المطلب الثاني: تعريف المشكل اصطلاحا:

المبحث الثاني: نشأة الاستشكال في القرآن الكريم، وأهمّ المصنفات في هذا العلم، ويندرج تحته مطلبين:

المطلب الأول: نشأة الاستشكال في القرآن الكريم

المطلب الثاني: أهمّ المصنفات في علم المشكل

المبحث الثالث: التعريف بكتاب الإمام ابن تيمية تفسير «آيات أشكلت»، وبيان أصناف المشكل فيه ، ويندرج تحته مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بكتاب الإمام ابن تيمية « تفسير آيات أشكلت »

المطلب الثاني: بيان أصناف المشكل في الكتاب.

المبحث الأول: تعريف مشكل القرآن لغة واصطلاحا

المطلب الأول: المشكل في اللغة

قال ابن دريد: الشكل المثل والشبه بفتح الشين، هذا شكل هذا أي مثله، وهذا من شكل هذا أي من جنسه وفي التنزيل ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾«[1]» وأشكل الأمر يشكل إشكالا إذا التبس ... » «[2]»، وقال ابن منظور :«وأشكل الأمر التبس، وأمور أشكال ملتبسة، وبينهم أَشْكَلَةٌ أي لبس، وفي حديث علي عليه السلام: « وألاّ يبيع من أولاد نخل هذه القرى ودية حتّى تشْكِلَ غراسا، أي حتّى يكثر غراس النخل فيها فيراها الناظر على غير الصفة التي عرفها فيشكل عليه أمرها ...»«[3]»

من خلال ما نقلته من معاجم وقواميس اللغة اتضح أنّ المادة اللغوية والمعجمية لمصطلح المشكل تدور وتصب حول معنى واحد وهو الالتباس والغموض والخفاء.

المطلب الثاني :تعريف المشكل اصطلاحا :

---

[1] ـ سورة ص: الآية 58

[2] ـ انظر: جمهرة اللغة ، ط 1 ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ،بيروت ، دار العلم للملايين ، 1987 ،ج 2 ، ص 877. (باب الشين والكاف مع ما بعدها من الحروف) ـ كلمة شكل ـ

[3] ـ انظر: لسان العرب ، د ط ، بيروت ، دار المعارف ، دت ، ج 4 ، ص 2310.

عرّفه الجرجاني بقوله :« المشكل هو ما لا ينال المراد منه إلاّ بتأمل بعد الطلب وهو الداخل في أشكاله أي في أمثاله وأشباهه مأخوذ من قولهم أشكل أي صار ذا شكل كما يقال أحرم إذا دخل في الحرم»«[1]»وعرّفه المناوي بقوله :«وشرح المشكل بسطه وإظهار ما خفي من معناه »«[2]»

وهذا التعريف الاصطلاحي هو بمعنى عام للفظة مشكل، وأمّا تعريف المشكل باعتباره مركبا إضافيا للقرآن أو علما ولقبا على القرآن والتفسير ،فإنّه يتطلب منّا البحث عن تعريف وضعه الأوائل الذين اعتنوا بهذا النوع من علوم القرآن وأصول التفسير ، وقد تعرض لبيان هذا المعنى العلامة ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن الذي يعتبر أول ما وصل إلينا من المصنفات التي اعتنت بهذا العلم حيثقال:«.... ومثل المتشابه المشكل، وسمي مشكلا لأنّه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه و شاكله، ثمّ يقال لما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل ...»«[3]»

ومن العلماء الذين أطلقوا لفظ المتشابه وعنوا به المشكل الإمام أبو جعفر بن الزبير الغرناطي حيث صرّح بذلك في مقدمة كتابه الماتع ملاك التأويل القاطع

---

[1] ـانظر: التعريفات، ط 3، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1408 هـ ـ 1988م ، ص 215.

[2]ـ انظر: التوقيف على مهمات التعريف، ط 1، القاهرة ، عالم الكتب، 1410 هـ ـ1990م، ص 203.

[3] ـ انظر: تأويل مشكل القرآن، ط 3 ، السعودية ، المكتبة العلمية ، 1401 هـ ـ 1981 م، ص 102.

بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل فقال بعد ذكره لأول من صنف في توجيه المتشابه وحديثه عن الإمام الخطيب الإسكافي « ... ومستدركا ما تذكرته ممّا أغفله رحمه الله من أمثالها من المتشابهات برفع تلك الإشكالات »«[1]»وقال بعدها:« وقد استجرت تلك الآيات جملة وافرة من المقفلات من أمثال تلك المشكلات، ممّا يجاري ويشبه ويلتبس على من قصر في النظر ويشتبه »«[2]» ففي نص كلامه هذا دليل على إطلاق المتشابه على المشكل وأنّهما مصطلحان مترادفان يؤديان معنى واحد.

المبحث الثاني: نشأة الاستشكال في القرآن الكريم وأهم المصنفات فيه

المطلب الأول: نشأة الاستشاكل في القرآن الكريم

إذا كان المشكل هو خفاء المعنى المراد من اللفظ أو الآية القرآنية، فإنّ هذا يدعونا للبحث عن تاريخ ظهور هذا الاستشكال وبداية منشأه، فهل استشكل الصدر والرعيل الأول من الصحابة والتابعين بعض الآيات من كتاب الله تعالى؟، لأنّ عسر إدراك بعض معاني الآيات عنهم يعد أمرا غريبا ومستبعدا، وذلك لما اختصوا به من شرف الصحبة التي اقتضت معاينة تنزلات الوحي ومناسباته، فضلا عن سلامة ألسنتهم من دخل اللكنة الأعجمية، إذ كانوا عربا

---

[1]ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ،ط 1 ، تحقيق سعيد الفلاح ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1403هـ ـ 1983م ، ج 1 ، ص 146ـ 147.

[2]ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 147.

أقحاحا وفصحاء خلص ،فهم أهل اللسان العربي الذي لم يدخله الدخيل الأعجمي.

والحق أنّ نصوص السنة ظافرة ببعض الاستشكالات التي وقعت لهم في بعض الآي من القرآن ورفعوها للنبي صلى الله عليه وسلم كي يزيل عنهم هذا اللبس، من ذلك استشكال عبد الله بن مسعود لقول الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ «[1]» قال ابن مسعود لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّه ليس بذاك ألا تسمعون لقول لقمان لابنه « إنّ الشرك لظلم عظيم »«[2]»، وكذلك استشاكلعدي ابن حاتم لقول الله تعالى ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ «[3]» فسأل النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: يا رسول الله: ما الخيط الأبيض، من الخيط الأسود أهما الخيطان، قال : « إنك لعريض القفا، إن أبصرت الخيطين »، ثم قال: « لا بل هو سواد الليل، وبياض

---

[1]ـ سورة الأنعام: الآية 82

[2]ـ انظر: صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، ط 3 ، تحقيق ديب البغا، بيروت ، دار ابن كثير ، 1407 ـ 1987 م ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الأنعام ، باب قوله تعالى ـالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ـ رقم 4353 ، ج 4 ، ص 1691، عن عبد الله بن مسعود .

[3]ـ سورة البقرة: الآية 187.

النهار»«[1]» ، ثمّ في عصر التابعين استشكل بعض الأعلام من سادتهم بعضا من آي القرآن وخفي عنهم مرادها ، فاستفتوا في ذلك من توافر عندهم من أ علام الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن أمثلة ذلك ما أخرجه البخاري عن سعيد بن جبير« أنّ رجلا قال لابن عباس إنّي أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال: فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، ولا يكتمون الله حديثا ،والله ربّنا ما كنّا مشركين، فقد كتموا في هذه الآية وقال أم السماء بناها إلى قوله تعالى : دحاها ، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثمّ قال: «أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين» إلى قوله : طائعين فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ؟ وقال: « وكان الله غفورا رحيما»، «عزيزا حكيما»، «سميعا بصيرا» فكأنه كان ثم مضى ؟ فقال: «فلا أنساب بينهم»: في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور: فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله : «ما كنا مشركين، ولا يكتمون الله حديثا» ، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين ، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده: يود الذين

[1]أخرجه البخاري،كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة – باب قوله :« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود»، رقم :4249 ، ج 4 ، ص 1640 ، عن عدي بن حاتم

كفروا الآية، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: دحاها. وقوله:« خلق الأرض في يومين». فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين، «وكان الله غفورا رحيما » سمى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله »«[1]».

فهذه الأمثلة تؤكد استشاكل الصحابة والتابعين لبعض آي القرآن الكريم، ومن ثمّ توجه الصحابة بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم ، والتابعون بسؤال خيار الصحابة عن معاني هذه الآيات، والملاحظ على استشاكلات الصحابة أنّها كانت في بيان ما يندرج تحت اللفظ العام أو تخصيص العام كما في حديث ابن مسعود الذي أورد فيه استشاكل الصحابة لمعنى الظلم في قوله تعالى :« الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » فخصص صلى الله عليه وسلم هذا الظلم العام بالشرك الذي دل عليه قول الله جلّ وعلا: «يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم» كما أنّها جاءت في بيان بعض معاني الألفاظ ومدلول العبارات كما في سؤال عدي بن حاتم عن معنى الخيط الأبيض والأسود حتّى أزال عنه هذا الإشكال بيانه صلى الله عليه وسلم بأنّ المراد به سواد الليل وبياض النهار،

[1] ـ انظر:كتاب تفسير القرآن ، سورة فصلت ، باب تفسير سورة حم السجدة ، رقم 4537، ج 4 ، 1814 ،عن سعيد بن جبير .

وكذلك استشاكلات التابعين لبعض آيات القرآن الكريم فإنّها لا تعدو أن تكون من هذا القبيل والله أعلم .

المطلب الثاني: أهم المصنفات في علم المشكل

يرى البعض من الباحثين أنّ الدافع حول التصنيف في هذا العلم من علوم القرآن كان في مبدأه أمرا لازم فرضه طعون بعض الملحدين والزنادقة في القرآن الكريم «[1]»، فانبرى لهم جماعة من اللغويين والمشتغلين بالتفسير للرد عليهم، مبطلين دعاويهم، ومنزهين القرآن الكريم عمّا ألصق به من شبه ، ومن أوائل المصنفين فيه مقاتل بن سليمان (ت 150 هـ) فقد وضع كتابا في متشابه القرآن تعرض فيه لبعض مااستشكله الزنادقة، وقد نقل منه بعض الأئمة كالإمام أبي الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي (ت 377 هـ) فذكر في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع بعض أقوال الإمام مقاتل بن سليمان في توجيه بعض الآيات التي ادّعى فيها الزنادقة التعارض والتناقض «[2]» ، ومن المصنفين فيه كذلك :

ـ الإمام محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت 206 هـ) في كتابه (الرد على الملحدين في متشابه القرآن)، وقد ذكره ابن النديم في بيانه للكتب المؤلفة في

---

[1] ـ انظر: أنواع التصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم ،مساعد الطيار ،ط 2 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1423 هـ ، ص 98 .

[2] ـ انظر: الرد على أهل الأهواء والبدع ،تحقيق يمان الميادني ،ص 70.

معاني شتى من القرآن بقوله :« كتاب قطرب فيما سأل عنه الملحدون من آي القرآن » «[1]»

ــ الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن)، وقد تكلم الإمام ابن قتيبة في مقدمة كتابه عن دواعي تأليفه فقال: « وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلم عن مواضعه وعدّلوه عن سبله، ثمّ قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة واللحن ، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور » «[2]»، وبعد إسهابه في وصف هؤلاء ذكر غرضه من وضع الكتاب وهو ما أملته الضرورة في الرد على هؤلاء فقال :« فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس مايلبسون، فألفت هذا الكتاب، جامعا لتأويل مشكل القرآن مستنبطا ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والايضاح ...» «[3]».

---

[1]ــ انظر: الفهرست ،محمد بن إسحاق أبو الفرج بن النديم ،د ط ، بيروت ، دار المعرفة ،ج 1ص ، 57

[2]ــ انظر: تأويل مشكل القرآن ، ص 22

[3]ــ المصدر نفسه ، ص 23

فمن كلامه يتضح أنّ المقصد الأعظم من وضع هذا الكتاب هو تتبع عورا الطاعنين من الملحدين في القرآن بدحض شبههم التي ألصقوها بالقرآن، وقد طبع الكتاب عدة طبعات بتحقيق الشيخ الأستاذ أحمد صقر ، ثمّ انتقل التأليف كما يذكر الشيخ مساعد الطيار إلى أعمّ من الرد على الطاعنين والملحدين، «بل تعدّى التأليف إلى كل ما يعد مشكلا ويقصر فهمه على بعض العقول في أي مجال «[1]» ومن أهم المصنفات في ذلك:

ـ توضيح المشكل في القرآن لسعد بن محمد بن صبيح أبو عثمان الغساني القيراطي النحوي(ت 300 هـ)«[2]»

ـ كتاب المشكل في معاني القرآن لأبي بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري(ت 328 هـ)«[3]»

ـ مشكلات القرآن :لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ «[4]»

ـ وضح البرهان في مشكلات القرآن لبيان الحق محمود بن أبي الحسن النيسابوري (ت 555هـ) ، وقد طبع الكتاب بتحقيقين الأول بتحقيق صفوان

---

[1]ـ انظر: أنواع التصانيف المتعلقة بعلوم القرآن :ص 103

[2] ـ انظر: هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ،دط ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ،دت ، ج 2 ، ص 228.

[3]ـ انظر: إيضاح المكنون ، إسماعيل البغدادي ، تصحيح محمد شرف الدين بالتقيا ـ رفعت بيلكهالكليسي ـ ،بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، دت ، ج 2 ، ص 392

[4]ـ انظر: كشف الظنون ، حاجي خليفة ، ج 1 ، ص 1965 .

داوودي في مجلدين، والثاني بتحقيق سعاد بنت صالح بن سعيد بابقيـ الفوائد في مشكل القرآن للإمام العز بن عبد السلام (ت 660 هـ) وقد اعتنى فيه الشيخ ببعض المشكلات اللغوية والبلاغية والنحوية وبعض المسائل الاعتقادية، وقد طبع الكتاب بتحقيق سيد رضوان علي الندوي وأشرفت على طبعه والمطبعة العصرية بالكويت تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية

ـ كتاب المشكلين: ـ في مشكل الكتاب والسنة ـ لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي(ت هـ) «[1]».

ـ مشكلات التفسير: للعامة قطب الدين محمود الشيرازي (ت 710 هـ)«[2]»

ـ فتح الرحمان بكشف ما يلتبس من القرآن لأبي يحي زكريا الأنصاري(ت 926 هـ)، والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور محمد علي الصابوني.

ـ تيجان البيان في مشكلات القرآن لمحمد أمين بن خير الله الخطيب العمري (ت 1203هـ)، والكتاب مطبوع بتحقيق حسن مظفر الرزو.

ـ مشكلات القرآن: لمحمد أنور شاه الكشميري (ت 1352 هـ)، والكتاب مطبوع بتحقيق محمد بن يوسف البنوري.

---

[1]ـ انظر: إيضاح المكنون ، إسماعيل البغداداي ، ج 2 ، 392 .

[2]ـ انظر: كشف الظنون ، حاجي خليفة ، ج 2 ، ص 1965 .

ـ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: للشيخ محمد الأمين الشنقيطي(ت 1392 هـ)، والكتاب مطبوع عدة طبعات.

المبحث الثالث: التعريف بكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية (تفسير آيات أشكلت)، وبيان أصناف المشكل فيه:

المطلب الأول: التعريف بكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية (تفسير آيات أشكلت)

قد أشار الكثير من أصحاب التراجم والسير إلى هذا الكتاب ولم يختلفوا في نسبته لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن عبد الهادي عند إشارته لمصنفاته ـ رحمه الله ـ قائلا :« قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق وكان من أخص أصحاب شيخنا وأكثرهم كتابة لكلامه ، وحرصا على جمعه كتب الشيخ ـ رحمه الله ـ نقول السلف مجردة من الاستدلال عن جميع القرآن وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال ورأيت له سور وآيات يفسرها ويقول في بعضها كتبته للتذكر ، ونحو ذلك ثمّ لما حبس في آخر عمره كتبت له أن يكتب على جميع القرآن تفسيرا مرتبا على جميع السور، فكتب يقول إنّ القرآن فيه ما هو بيّن بنفسه وفيه ما بيّنه المفسرون في غير كتاب، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء فربّما يطالع عليها الإنسان عدة كتب ولا يتبين

له تفسيرها، وربمّا كتب المصنف الواحد في آية تفسيرا، ويفسر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل، لأنّه أهم من غيره » «[1]».

فهذا النص الذي نقله ابن عبد الهادي عن الحافظ ابن رشيق ـ رحمهما الله ـ يفهم منه أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية توخّى في هذا المصنف الجليل رفع الإشكال عن بعض الآي من التنزيل استعصى فهمها على طائفة من المحققين، ولم يتبين فيها القول الصواب، فأدلى فيها بقوله قاصدا بيانها، وقد قام الباحث عبد العزيز بن محمد الخليفة بتحقيق الكتاب في رسالة علمية نال بها درجة الماجستير من كلية أصول الدين التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد تولت مكتبة الرشد طبع الكتاب ونشره سنة 1417 هـ ـ 1996 م.

المطلب الثاني: أصناف المشكل في كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية

من خلال مطالعتي للكتاب بغية الوقوف على صور المشكل عند شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تبين لي أنّ المشكل عنده ليس من النوع الأول الذي كتب فيه الأوائل من علماء السلف الذين اعتنوا في كتبهم بالإجابة عن سؤلات الملحدين والزنادقة المشككين في قداسة القرآن الكريم وإنّما المشكل الذي ذكره في كتابه يعد من قبيل النوع الثاني الذي تعدى فيه استشكال آي القرآن إلى كل ما يقصر عن فهوم الناس أو طائفة من العلماء في أي مجال من مجالات العلوم، وقد أورد في كتابه طائفة من بعض الآيات المشكلة التي استعصى فهمها على

---

[1]ـ انظر: العقود الدرية في مناقب ابن تيمية ، ط 1 ، تحقيق بو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، القاهرة ، الفاروق الحديثية للطباعة والنشر ، 1422 هـ ـ 2002 م ، ص 25 .

كثير من المفسرين وتضاربت فيها أقوالهم، دون أن يحرروا فيها القول الصحيح أو الجواب الشافي، وتنوعت هذه الإشكالات في صنوف وضروب شتى من العلوم ـ اجتهدت في تصنيفها ووضعها تحت عناوين خاصة كالآتي:

الفرع الأول: المشكل النحوي:

في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ «[1]»

ذكر شيخ الإسلام أنّ كلمة إنّها في الآية فيها قراءتان قراءة بالفتح وقراءة بالكسر فقال: « وفي أنّها قراءتان فقراءة النصب أحسن القراءتين، وهي التي أشكلت على كثير من أهل العربية حتّى قالوا إنّ «إنّ » بمعنى لعلّ، وذكروا ما يشهد لذلك، وإنّما دخل عليهم الغلط لأنّهم ظنّوا أنّ قوله تعالى ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ ﴾ جملة مبتدأة يخبر الله بها، وليس كذلك ولكنّها خبر إنّ، ومتعلقة بإذا والمعنى:وما يشعركم إذا جاءت أنّهم لا يؤمنون وأنّا نقلب أفئدتهم وأبصارهم بعد مجيئها كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم ، فإذا كنتم لا تشعرون أنّها إذا جاءت لا يؤمنون، وكنّا نفعل بهم لم يكن قسمهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها صدقا، بل قد يكون كذبا، فهذا معنى الآية وهو ظاهر الكلام المعروف»«[2]»

---

[1] ـ سورة الأنعام: الآيتان 109 ـ 110

[2] ـ انظر: تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 136 ـ 137 .

«ومنها قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ «[1]» والصواب فيها أنّ قوله : وعبد معطوف على قوله: لعنه الله وغضب عليه فهو فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية أي: من لعنه الله ومن غضب عليه ومن جعل منهم القردة والخنازير و من عبد الطاغوت، لكنّ الأفعال المتقدمة الفاعل فيه اسم الله تعالى مظهرا ومضمرا، وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت، وهو الضمير في عبد ولم يعد سبحانه حرف من لأنّ هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود»«[2]»

أقول: إنّ ما ذكره شيخ الإسلام وعدّه من قبيل المشكل هو اختلاف القراء في قراءة كلمة وعبد الطاغوت

فقد وردت فيها قراءتان متواترتان، وهي قراءة من قرأ بفتح الباء من عبد ونصب التاء من الطاغوت، وهذه قراءة ابن عامر، وابن كثير، وعاصم، أبي عمرو بن العلاء البصري، ونافع المدني، والكسائي، وأبوجعفر، ويعقوب الحضرمي، وخلف العاشر في اختياره، والقراءة الثانية هي قراءة من قرأ بضم الباء من عبد وكسر التاء من الطاغوت وقد قرأ بذلك الإمام حمزة «[3]»

---

[1] ـ سورة المائدة الآية 60

[2] ـ تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 142 ـ 144

[3] ـ انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عبد الفتاح القاضي ، ط 5 ، القاهرة ، دار السلام ،ج 1 ، ص 237 .

و ما ذكره شيخ الإسلام في هذه الآية يعد اختيار للقراءة و توجيها لها فهو أراد بيان أصح القراءة وجها في العربية، وليس معناها نفي القراءة الأخرى لأنّها متواترة، وما كان طريقه الاستفاضة والنقل الصحيح لا يسوغ رده، طالما ورد بالتواتر، وإن كان هذا المتواتر بعيدا نوعا ما من ناحية العربية، وقد وافقه في هذا القول أئمة القراءات وشيوخ المفسرين، فقد ذكروا عين ما ذكره هو، ومن المفسرين الذين تعرضوا له هذه الآية الإمام الطبري حيث قال :« فإذا كانت القراءة بأحد هذين الوجهين دون غيرهما من الأوجه التي هي أصح في العربية مخرجا منهما ، فأولاهما بالصواب من القراءة قراءة من قرأ ذلك وعبد الطاغوت بمعنى وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت لأنّه ذكر أنّ ذلك في قراءة أبي بن كعب و ابن مسعود وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت بمعنى والذين عبدوا الطاغوت، ففي ذلك دليل واضح على صحة المعنى الذي ذكرنا ، وأنّ النصب بالطاغوت أولى على ما وصفت في القراءة لإعمال عبد فيه»«[1]».

في تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ «[2]»

---

[1]ـ جامع البيان في تأويل آيالقرآن ، ط 1 ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ ـ 2000 م ، مج 6 ، ص 18

[2]ـ سورة يونس: الآية 60

قال :« ومنها قوله ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ «[1]» ظنّ طائفة أنّ ما نافية ، وقالوا ما يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة ، بل هم غير شركاء ، وهذا خطأ، ولكنّ ما هنا حرف استفهام، والمعنى وأي شيء يتبعون من دون الله شركاء، إن يتبعون إلاّ الظن، وإن هم إلاّ يخرصون، وشركاء مفعول يدعون لا مفعول يتبع، فإنّ المشركين يدعون من دون الله شركاء كما قد أخبر الله عنهم بذلك في غير موضع فالشركاء موصوفون في القرآن بأنّهم يدعون من دون الله ولم يوصفوا بأنّهم يتبعون، وإنّما يتبع الأئمة الذين كانوا يدعون هذه الآلهة، ولهذا قال بعد هذا « إن يتبعون إلاّ الظن » ولو أنّه أراد ما اتبعوا شركاء في الحقيقة لقال إن يتبعون إلاّ من ليسوا شركاء، بل هو استفهام بيّن به أنّ المشركين الذين دعوا من دون الله شركاء، ما اتبعوا إلاّ الظن، ما اتبعوا علما، فإنّ المشرك لا يكون معه علم يطابق شركه، إذ العلم لا يكون إلاّ مطابقا إلاّ للمعلوم، والمشرك اعتقاده للشرك اعتقادا غير مطابق، وهو فيه ما يتبع إلاّ الظن، وهو يخرص يحرز حرزا، وهو كذب وافتراء كقوله: ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ «[2]»

أقول: إنّ ما استشكله شيخ الإسلام في هذه الآية هو في بيان حقيقة ما الواردة في الآية هل هي استفهامية أو نافية، فالمشكل هنا حول معاني الحروف، والحرف

---

[1] ـ سورة يونس: الآية 60

[2] ـ سورة الذاريات: الآية 10 ، انظر : تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 144 ـ 146.

في اللغة العربية يحتمل عدة معان ويكون له أغراض كثيرة، ثمّ قد يكون الحرف في حدّ ذاته يحوي المعنيين معا وفقا لبعض التقديرات التي يقررها اللغويون والنحويون، والنحويون قرّروا الأحوال التي تكون فيها ما متضمنة لمعنى النفي وما المتضمنة لمعنى الشرط، فالاستفهامية تكون من أوجه (ما اسمية)، والاستفهامية تكون بمعنى أي شيء ولها صدر الكلام كالشرط ويسأل بها عن أعيان ما لايعقل وأجناسه وصفاته، وعن أجناس العقلاء وأنواع صفاتهم، ومن أحكامها أنّ ألفها تحذف إذا جرّت مع بقاء الفتحة دليلا عليها «[1]»، وأمّا ما النافية فإنّها تكون من صور ما الحرفية، و يذكرون من أحكامها أنّها تكون في صدر الكلام وتدخل على الجملة الاسمية فتعمل فيها عمل ليس عند الحجازيين والتهاميين والنجديين بشروط معروفة، وتدخل على الجملة الفعلية ولا تعمل شيئا «[2]» وقد تحتمل ما معنى الاستفهام والنفي معا بناء على بعض التقديرات والتوجيهات، فقد أورد الإمام ابن هشام في كتاب مغني اللبيب فصلا للتدرب على إعراب ما، وأورد بعض الآيات القرآنية وردت فيها ما، وذكر جواز تضمنها لمعنى النفي والاستفهام معا في الآية الواحدة«[3]»، وهذا يرجع إلى بعض التعليلات والتقديرات كما قلت.

---

[1]ـ انظر: البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج 4 ، ص 402 ، وانظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري ، د ط ، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة ، دار الطلائع، ج 1 ، ص 312.

[2]ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج 1 ، ص 316

[3]ـ المصدر نفسه : ج1 ، ص 329 ـ 330

وما ذكره شيخ الإسلام من كون ما «ما» التي في الآية استفهامية قد أجازه جماعة من المفسرين منهم الإمام ابن عطية حيث قال: «يصح أن تكون ما استفهاما بمعنى التقرير وتوقيف نظر المخاطب ويعمل يدعون في قوله شركاء، ويصح أن تكون نافية ويعمل يتبع في شركاء على معنى أنّهم لا يتبعون شركاء حقا ويكون مفعول يدعون محذوفا ، وفي هذا الوجه عندي تكلف » «[1]»، وفي المقابل ذهب جماعة من المفسرين إلى أنّ ما في الآية نافية ومن بينهم الإمام ابن الجوزي حيث قال: « أي ما يتبعون شركاء على الحقيقة لأنّهم يعدونها شركاء لله شفعاء لهم وليست على ما يظنون » «[2]»، وذهب الإمام أبو حيان إلى رجحان كون ما التي في الآية نافية حيث قال: « والظاهر أنّ ما نافية، وشركاء مفعول يتبع، ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره آلهة أو شركاء أي أنّ الذين جعلوهم آلهة وأشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة، إذ الشرك في الألوهية مستحيلة، وإن كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء، وجوزوا أن تكون ما استفهاما في موضع نصب يتبع، وشركاء منصوب بيدعون، أي وأي شيء يتبع على تحقير المتبع ...» «[3]»

الفرع الثاني: المشكل في غريب اللغة:

---

[1]ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط 1 ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ـ 1993م ، ج 3 ، ص 130

[2] ـ انظر: زاد المسير ، ط 1 ، تحقيق محمد بن عبد الرحمان عبد الله ، بيروت ، دار الفكر، 1407 ، 1987م، ج 4 ، ص 40.

[3]ـ انظر: البحر المحيط،د ط ، بيروت ، دار الفكر ، 1426هـ ،ج 6 ، ص 84

الغريب من الكلام «هو ما كان بعيد المعنى لا يتناوله الفهم إلاّ عن معاناة وبعد فكر»«[1]»، والغريب موجود في القرآن لنزوله بلغة العرب، والعرب كانوا على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة ، لكنّ القرآن تجاوز فصاحتهم وتعدّاها، ومع ذلك كانوا يرجعون إلى شعر الجاهلية وكلام الأوائل في تفسير بعض المعاني، لكنّ مع اتّساع الفتوحات ودخول الأعاجم في الإسلام ابتعد الناس تدريجيا عن اللغة، فأصبحوا يستشكلون معاني بعض الألفاظ لم يستشكلها الصدر الأول من الصحابة فقد كانت واضحة بيّنة عندهم

في قوله الله تعالى ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ «[2]» قال ـ رحمه الله ـ ـ« حار فيها كثير من الناس، والصواب فيها التفسير المأثور عن السلف ، روى ابن أبي حاتم وغيره بالأسانيد الصحيحة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد «بأيكم المفتون» الشيطان، في رواية قال هو إبليس، وقال الحسن أيكم أولى بالشيطان فقال : فهم أولى بالشيطان من النبي صلى الله عليه وسلم ، فبيّن الحسن المعنى المراد ، وإن لم يتكلم على اللفظ كعادة السلف في اختصار الكلام مع البلاغة وفهم المعنى وقال الضحاك : «بأيكم المفتون» أي المجنون، فإنّ من كان به الشيطان ففيه جنون» «[3]»، ثمّ نقل عن الإمام ابن الجوزي أربعة أقوال عن السلف في تفسير الآية كلها موافقة للتفسير الذي ذكره عن الحسن والضحاك

---

[1]ـ انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ،ج 2 ، ص 1203.

[2] ـ سورة القلم: الآيتان 5 ـ 6.

[3] ـ انظر: تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 146 ـ 149

إلاّ قولا واحدا حكاه الماوردي بأنّ المفتون المعذب ، وهذا قد استبعده شيخ الإسلام فقال، ثمّ ذكر رمي المخالفين للأنبياء وأتباعهم بالجنون وقد صرّح بذلك القرآن الكريم في كم موضع ، ثمّ ذكر ـ رحمه الله ـ أنّ ممّا يؤيد هذا المعنى قراءة أبي بن كعب ، والجوني ، وابن أبي عبلة في أيّكم المفتون والشيطان مفتون بلا ريب ،وبعدها بيّن خطأ من لم يفهموا هذا المعنى فقال: « والذين لم يفهموا هذا قالوا الباء زائدة، كما قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة، وأبو بكر وكذلك نحاة البصرة، ثمّ ذكروا قولين : أحدهما أنّ المفتون مصدر كما زعموا أنّ المعقور، والمعقود والمجلود يكون مصدرا، ومنهم من قال: بأيكم أي بأي الفريقين المفتون، أي المجنون أبالفريق الذي أنت فيهم أم بفريق الكفار ، وهذه أقوال ضعيفة، وكون المفتون بمعنى الفتنة لا أصل له في اللغة البتة ، وجعل المصدر على زنة المفعول، لو صح لم يكن قياسا ، بل مقصورا على السماع، كيف وفيما ذكروه هذا كلام ليس موضعه ؟ وكذلك قول من يقول بأي الفريقين، والمقصود أنّ جميع الكفار مفتونون بالشيطان ، وفيه الشيطان المفتون ليس المقصود أن يعاب الفريق بواحد منهم ...» «[1]»

وفي بيانه ـ رحمه الله ـ لمعنى المفتون نجده قد اعتمد تفسير السلف فقد راءه صوابا، فهو يقدم تفسيرهم على من سواهم ، ثمّ ضعف ـ رحمه الله ـ الأقوال المنقولة عن اللغويين في بيان المفتون كأبي عبيدة، وابن قتيبة فقد اعترض على

[1]ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 156 ـ 157 .

أقوالهم وحكم بضعفها لمخالفتها القياس اللغوي، وخلافها للمأثور عن السلف في تفسير لفظة المفتون.

الفرع الثالث: المشكل في خفاء بعض المعاني

في قول الله ـ تعالى ـ ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾«[1]»

وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ «[2]»

قال ـ رحمه الله ـ« قد تنازع المفسرون في معنى العود في ملتهم على قولين:

أحدهما: وهو الذي وجدته منقولا عن مفسري السلف ما ذكر في تفسير عطية عن ابن عباس ، وينقل منه عامة المفسرين ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما.

يروى عن محمد بن سعد العوفي، حدّثني أبي حدّثني عمي، حدّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، وينقل منه عامة المتأخرين من عامة المفسرين، كالماوردي، والثعلبي، والواحدي، وابن الجوزي، وغيرهم

---

[1]ـ سورة الأعراف: الآيتان 88 ـ 89

[2]ـ سورة إبراهيم: الآية 13.

وقد روى ابن أبي حاتم منه في هذه الآية عن ابن عباس :كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ويقهرونهم ، ويدعونهم إلى العود إلى ملتهم ، فأبى الله لرسوله والمؤمنين أن يعودوا في ملتهم ، ـ وهي ملة الكفر ـ وأمرهم أن يتوكلوا عليه.

قال في تفسيره في قصة أو لتعودنّ في ملتنا قال :« ليس المراد عودهم في الكفر، فإنّ الأنبياء لم يكونوا كفارا قط» ، وقال ابن عطية :« والعود أبدا إنّما هو إلى حالة قد كانت ، والرسل ما كانوا قط في ملة الكفر، والمعنى أو لتعودنّ إلى سكوتكم عنّا كما كنتم قبل الرسالة ، وكونكم أغفالا»، قال وذلك عند الكفار كون في ملتهم ، فصاحب هذا القول أقرّ العود على معناه المعروف، ولكن جعله عودا إلى ترك الأمر والنهي ، ودعوتهم إلى الإيمان كما كانوا قبل أن يرسلوا، وجعلوا هذا عودا في ملتهم ، عند أولئك الكفار وهذا يرد عليه أمران:

أحدهما أنّ هذا العود يكون للرسل خاصة فهم الذين أمروا ونهو اودعوهم إلى اتّباعهم ، وقال ابن عطية أو لتعودنّ في ملتنا لتصيرن»،

ثمّ ذكر شيخ الإسلام رأي الإمام ابن الجوزي ورأي الثعلبي والبغويوافقا فيه من قبلهما في الوجهين السابقين ، ثم ذكرا وجها ثالثا ونصه كما ذكر شيخ الإسلام بقوله : «فقالا : واللفظ للبغوي لترجعنّ إلى ديننا الذي نحن عليه ، قال شعيب أو لو كنّا كارهين لذلك فتجبرونا عليه، قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم ، يقول إلاّ أن يكون قد سبق لنا في مشيئة الله أن نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا ، وينفد حكمه علينا ، فإن قيل مامعنى قوله :« أو لتعودنّ في ملتنا» ولم يكن شعيب قط في ملتهم ، حتّى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا، قيل معناه، أو لتدخلنّ في ملتنا، فقال: ما يكون لنا أن ندخل فيها، وقيل معناه إن

صرنا في ملتكم، ومعنى عاد صار، وقيل أراد قوم شعيب، لأنّهم كانوا كفارا، فآمنوا، فأجاب شعيب عنهم »«[1]» .

بعدها قام شيخ الإسلام بنقد هذه الأقوال التي نقلها عن هؤلاء المفسرين، وكيفية إجماعهم على تفسير الملة بالكفر لأنّ مدلول اللفظ يقتضيها، لكنّه أشار إلى اختلافهم في تفسير حقيقة العود، فخطأ قول ابن الجوزي والثعلبي والبغوي في تفسير العود بمعنى الابتداء، وردّ ما احتّجوا به من شواهد شعرية، ورّجح تفسير ابن عطية القائل بأنّ العود يقتضي الرجوع إلى حالة سابقة كان المرء عليها، ثمّ تطرق إلى مسألة رجوع نبي الله شعيب إلى ملة الكفر وكونه كان فيها أم لا ؟ ليقررّ أنّ فيها نزاعا مشهورا بين العلماء ، والمسألة خالية من أي دليل نقلي يمكن الركون إليه، ومن حيث العقل فقد قررّ أنّ الذي عليه جماهير النظّار من أهل السنة لا يمنعون وقوع ذلك، ثمّ سرد اختلافات العلماء من مختلف الطوائف في إجازة وقوع الأنبياء في بعض الذنوب قبل و بعد البعثة، وهل كانوا معصومين قبل البعثة من الكفر والشرك أم لا ؟ ليقرر في الأخير أنّ ليس ثمت ما يمنع أن يبعث الله بعض الرسل كانوا على ملة أقوامهم في الشرك والكفر حيث قال :«فلا يلزم إذا كان نبي قبل النبوة معصوما من كبائر الاثم والفواحش صغيرها وكبيرها أن يكون كل نبي كذلك، ولا يلزم إذا كان الله قد بغّض إليه شرك قومه قبل النبوة أن يكون كل نبي كذلك ، فما عرف من حال نبينا وفضائله لا تناقض ما روي من أخبار غيره إذ كان دون ذلك، ولا يمنع كون

[1]ـ انظر: تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 171.

ذلك بنبينا، ولكنّ الله فضل بعض النبين على بعض، كما فضّلهم في الشرائع والكتب والأمم، فهذا أصل يجب اعتباره ...»«[1]»

أقول: إنّ ما استشكله شيخ الإسلام في آية الأعراف هو خفاء حقيقة العود المذكور فيها ، ففي الآية نوع من الإشكال يوهم تناقضا ممّا هو مقرر في أصول الاعتقاد حول عصمة الأنبياء قبل البعثة من الكفر ، فإنّ الذي عليه جماهير العلماء استحالة وقوع الشرك والكفر منهم قبل بعثتهم، فالمولى جلّ وعلا لا يبعث إلاّ من كان كاملا في جميع النواحي، وممّا عرف كذلك أنّ الأنبياء حباهم الله تعالى بفطنة وعقل يمنعهم من مجاراة أقوامهم على ما هم عليه من الشرك بالله تعالى، وعبادة الأوثان كما هو حال نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد قام شيخ الإسلام ببسط أقوال المفسرين في المسألة ورجح البعض منها وضعف البعض الآخر منها، ثمّ قرّر في الأخير جواز بعث الله لبعض الأنبياء كانوا من قبل على ملة أقوامهم فهو يجوز هذا من ناحية العقل ، لكنّ الدليل النقلي على ذلك لا يوجد كما أكّد هو، فالشيخ أخذ بظاهر الآية وفسّر العود على حقيقته، وهو الرجوع إلى شيء قد كان، وبذلك يتفق مع ابن عطية تفسير هذا المعنى، لكنّه يخالفه في تأويله فابن عطية عدّ العود بمعنى السكوت عن الإنكار عليهم، بينما شيخ الإسلام جوز من ناحية العقل وقوع نبي الله شعيبا في ملة الكفر.

[1]ـ انظر: تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 230 ـ 231.

الفرع الرابع: المشكل في التخصيص والتعميم

علم أصول الفقه آلة من الآليات التي يجب على المفسّر أن يلمّ بها حتّى يتسنى له استنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية، وتحليل نصوص القرآن وتراكيبه، فغير حري لمن تصدّر لتفسير كلام الباري تعالى أن لا يكون له نظر سابق وباع شاسع بعلم أصول الفقه، وقد أدرك المفسرون ضرورته للمفسر، فحفظت عنهم أقوال دوّنها يراعهم ينوهون فيها بأهميته، ومن جملة ذلك ما قاله الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ «وأمّا أصول الفقه فإنّها من أدوات تفسير القرآن على أنّ كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها، وإنّها لنعم العون على فهم المعاني، وترجيح الأقوال وما أحوج المفسّر إلى معرفة النص، والظاهر والمجمل والمبيّن، والعام والخاص والمطلق والمقيد، وفحوى الخطاب ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ ووجوه التعارض ، وأسباب الخلاف وغير ذلك من علم أصول الفقه »«[1]».

وقال الإمام الزّركشي : ــ رحمه الله ـ «ولا بدّ من معرفة أصول الفقه، فإنّه من أعظم الطرق في استثمار الأحكام ....»«[2]»،

وشيخ الإسلام في كتابه تفسير آيات أشكلت ذكر بعض الآيات التي اضطربت أقوال العلماء فيها وأشكلت عليهم فهم معانيها بسبب عدم تحريرهم لبعض المسائل الأصولية المتوقف عليها فهم آي القرآن ، ومن ذلك:

---

[1]ـ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ، ط 1 ، تحقيق عبد االرزاق مهدي ، بيروت ، دار إحياء التراث العبي ، 1425 هـ ـ 2004 ، ج 1 ، ص 15

[2] ـ انظر: البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 6

في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ «[1]»

قال ـ رحمه الله ـ بعد بيانه للمعنى العام لها «... ولكن من الناس من لم يفهم هذه الآية ، فقالوا فيها أقوالا ضعيفة، وأصل معرفة معناها أنّ قوله: «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين » هل هو خبر عن كل من دخل في هذه الأسماء، وإن كان قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، أو هو مختص بمن كان موجودا بعد مبعثه كآيات الأمر والنهي التي بعث بها، فإنّه يؤمر وينهى على لسانه من بعث إليهم، وهم الذين بلغتهم رسالته من حين بعث، وإلى يوم القيامة، كما قال :« لأنذركم به ومن بلغ »، فكل من بلغه القرآن فقد أنذره به الرسول، والإنذار به هو الإخبار بالعذاب لمن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به. فظنّ بعض الناس أنّ الذين أخبر عنه في الآية بالنجاة والسعادة ليسوا إلاّ ممّن بعث محمد إليهم، لم يخبر فيها بحال من كان موجودا قبل مبعثه، وغلطوا فيها في الفهم، ثمّ افترقوا على أقوال متناقضة تخالف لفظ الآية ومعناها، والصواب هو القول الآخر، وأنّ الآية عامة تتناول من اتصف بما ذكر فيها قبل مبعث الرسول، وهو الذي يدل عليه لفظ الآية ويعرف به معناها من غير تناقض، ويعرف به قدرها ...» ثمّ ذكر الأدلة الدالة على ذلك والمرجحة لهذا المعنى.

---

[1]ـ سورة البقرة: الآية 62

في قوله تعالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ «[1]»

ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ تفسير السلف للحسنة والسيئة المذكورتين في الآيتين، بأنّ المراد بالحسنة التوحيد، وكلمة لا إله إلاّ الله، وأنّ المراد بالسيئة الشرك، وهذا هو التفسير المنقول عن السلف، وهو الذي ارتضاه هو، ثمّ ذكر أنّه قد يشكل على البعض هذا التفسير ، إذ كيف تكون الحسنة لا إله إلاّ الله وحدها، والسيئة تكون بمثابة الشرك فحسب ، فوّجه تفسير السلف لهما حتّى لا يكون فيهما لبس عن الناس أو بعض العلماء، فوّجه تفسير السلف لهما حتّى لا يكون فيهما لبس عن الناس أو بعض العلماء فقال ـ رحمه الله ـ « .... فإنّ التوحيد وهو معنى قول لا إله إلاّ الله هو أن يعبد الله وهو تعالى إنّما يعبد بما أمر به، فهو العمل لله بأمر الله كما قال تعالى : بلى من أسلم وجهه للّه وهو محسن فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فكل عمل من أ عمال البر فهو جزء من التوحيد ومن العمل الله، ومن عبادته توحيده، ومن فروع ذلك»«[2]»

و استطرد في بيان ذلك، ثمّ قال : «فمن قال: الحسنة لا إله إلاّ الله لم يرد أنّ هذه الكلمة وحدها هي الحسنة، دون العمل بمقتضاها، بل هي عنده الشجرة الجامعة، والأعمال داخلة فيها وفروع لها، وكذلك السيئة هي العمل لغير الله،

---

[1]ـ سورة الأنعام: الآية 160

[2]ـ انظر: تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 347 ـ 348 .

وهذا هو الشرك، فإنّ الإنسان همام حارث، لا بدّ له من عمل ولا بدّ له من مقصود معبود يعمل لأجله، فالعمل هو الإخلاص والتوحيد له، والعمل لغيره هو الشرك ، وإن عمل لله وغيره فذلك أيضا شرك ، والذنوب كلها جزء من الشرك ، وهي من فروعه ، فإنّها جميعها طاعة للشيطان واتباع لخطواته »«[1]».

في تفسير قول الله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ «[2]»

ذكر ــ رحمه الله ـ اختلاف المفسرين في تفسير هذه الآية خصوصا بين السلف الصالح فمنهم من فسّر السيئة بالشرك وعليه يكون من أشرك بالله ومات على ذلك استحق دخول النار، ومنهم من فسّرها بالكبيرة من الذنوب وهذا التفسير هو الذي وقع فيه اللبس لأنّ ذلك يقضى بأنّ أهل الكبائر من أهل التوحيد يخلدون في النار، وهذا يخالف ما جاء كتب العقيدة بأنّ أصحاب الكبائر من أمة التوحيد لا يخلدون في النار وهذا مذهب أهل السنة ، إلاّ أنّ المعتزلة يقولون بخلود أهل الكبائر في النار، ولذا ذكر شيخ الإسلام أنّ المتأخرين من المفسرين عدلوا عن التفسير الثاني المنقول عن السلف القائل بأنّ السيئة الكبيرة ، وذلك حتّى يخالفوا المعتزلة في قولهم بخلود أهل الكبائر ، فقام شيخ الإسلام بدفع هذا الإشكال وبيّن أنّ تفسير السلف للسيئة بالكبيرة لم يقولوا بأنّهم يخلدون تخليدا أبديا كتخليد الكفار ولا يخرجون بشفاعة فقال ـ رحمه الله ـ« قلت هؤلاء الذين

---

[1]ــ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 349.

[2]ــ سورة البقرة : الآية 81

جعلوا أصحاب الذين يموتون عليها داخلين في هذا الوعيد، لم يقولوا إنّهم لا يخرجون من النار لا بشفاعة ولا غيرها كما ظنّه من لم يجد أقوالهم »«[1]»

ثمّ ذكر أنّ لفظ السيئة قد يكون عاما فيراد الذنوب والكبائر، ويكون مطلقا فتكون السيئة المطلقة هي التي لا تقبل المحو وهذا هو الشرك فقال ـ رحمه الله ـ «فكذلك لفظ السيئة قد يكون عاما ، وقد يكون مطلقا ، فيراد به السيئة المطلقة التي لا تقبل المحو عن صاحبها ، بل هي مهلكته وموبقته وهذا هو الكفر، والعموم نوعان عموم الكل لأفراده ، وعموم الكل لأجزأه ، مثل ما إذا قيل أحسن لفلان ، وأكرمه ونحو ذلك ، فإنّ الفعل نكرة ، فمقتضى هذا الفعل افعل معه احسانا ، وليس المراد فردا من الأفراد التي يسمى كل واحد منها إحسانا إليه ، بل المراد افعل معه الاحسان الذي يتناول جميع ما يحتاج إليه مطلقا ، وقوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ «[2]» أحسنوا أي فعلوا الحسنى، وهو يتناول ما أمروا به مطلقا ، فإذا كانت الحسنة تتناول المأمور، فكذلك السيئة تتناول المحظور ، فيدخل فيه الشرك الذي هو رأس السيئات، كما يدخل في الحسنة الإيمان الذي هو رأس الحسنات، كما قد فسّروا بذلك قوله ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩

[1]ـ انظر: تفسير آيات أشكلت ،ج 1 ، ص 378

[2] ـ سورة يونس : الآية 26

وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ «[1]» وقول السلف السيئة الشرك لم يريدوا به أنّ سائر الذنوب لم تدخل في السيئة، بل الشرك داخل فيها ويدخل معه سائر السيئات، ولهذا قال: «وأحاطت به خطيئته » وفي القراءة الأخرى خطيئاته»«[2]»

الفرع الخامس :المشكل في التقييد والاطلاق

قوله تعالى ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ «[3]»

ذكر شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ الفرق بين هذه الآيات وآية النساء التي يقول فيها جلّ وعلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾«[4]» فقد أخلط القول فيهما كثير من الطوائف، فأشار إلى أنّ آية الزمر تكون في حق التائبين من الذنوب، وأنّ آية النساء في غير التائبين وردّ على

---

[1]ــ سورة النّمل: الآيتان 89 ـ 90

[2] ــ انظر: تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 391 ـ 392

[3]ــ سورة الزمر: الآيات 53 ــ 55.

[4]ــ سورة النساء: الآية 48

المعتزلة القائلين بأنّها في حق التائبين ، ليشير بعدها أنّ آية النساء فيها تقييد وتخصيص، فالله تعالى خصّ فيها الشرك بأنّه لا يغفره ، وما عداه لم يجزم بمغفرته، بل قيّده بمشيئته ، وآية الزمر فيها تعميم وإطلاق بغفران كل جنس الذنوب حتّى الشرك لمن تاب منه ولم يمت وهو مشرك، قال ـ رحمه الله ـ «فهذا يقتضي أنّ هذه الآية ليست على ظاهرها ، بل المراد أنّ الله يغفر الذنوب جميعا، أي ذلك ممّا قد يفعله، أو أنّه يغفر لكل تائب، لكن يقال: فلم جاء بصيغة الجزم والاطلاق في موضع التردد والتقييد ؟ قيل: بل الآية على مقتضاها، فإنّ الله أخبر أنّه يغفر جميع الذنوب، ولم يذكر أنّه يغفر لكل مذنب، بل قد ذكر في غير موضع أنّه لا يغفر لمن مات كافرا فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾«[1]» وقال في حق المنافقين ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[2]» لكن هذا اللفظ العام في الذنوب هو مطلق في المذنبين، لم يتعرض لمذنب بنفي ولا إثبات، لكن يجوز أن يكون مغفورا له، ويجوز أن لا يكون مغفورا له، إن أتى بما يوجب المغفرة غفر له، وإن أصرّ على ما يناقضها لم يغفر له، وأمّا جنس الذنب فإنّ الله يغفره في

[1]ـ سورة محمد: الآية 34

[2]ـ سورة المنافقون: الآية 6

الجملة، سواء كان كفرا أو شركا أو غيرهما لمن تاب منها وليس في الوجود ذنب لا يغفره الرب تعالى بحال بل ما من ذنب إلاّ والله يغفره بالجملة ...»«[1]»

الفرع السادس: المشكل في موهم تعارض بعض الآيات مع الأحاديث النبوية

قد تتعارض بعض الأدلة الشرعية مع بعضها البعض فيوهم ذلك تناقضا عند البعض فيلجأ العلماء عند ذلك لدفع التعارض والتناقض بإعمال المسالك المعلومة في الترجيح عند تعارض الأدلة، إمّا بالجمع بين الدليلين، أو بإثبات الدليل المتأخر عن المتقدم فيعمل بالنسخ، أو بالترجيح ببعض المرجحات المذكورة في كتب الأصول، فقد يقع في بعض الأحاديث النبوية نوعا من التعارض في الظاهر فيعمد العلماء إلى الجمع بينهما، ولذا صنفوا كتبا في مختلف الحديث، وقد يقع نوع من التعارض بين بعض آي القرآن والأحاديث النبوية، وفي هذا يقول الإمام الزركشي « وقد يقع التعارض بين الآية والحديث ....»«[2]»

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتابه في تفسير قول الله تعالى ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَن لَّيْسَ

[1]ـ انظر: تفسير آيات أشكلت ، ج 1 ، ص 305 ـ 306

[2]ـ انظر: البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 66

﴿لِّلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾«[1]»

تضمن هذه الآيات لثلاث أصول عقدية وهي:

الأصل الأول أنّ ذنب الإنسان لا يحمله غيره وهذا ما دلّ عليه قوله تعالى :«ألاّ تزر وازرة وزر أخرى »

الأصل الثاني : أنّ الإنسان ليس له إلاّ سعيه ، ودلّ عليه قوله تعالى «وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى»

الأصل الثالث : أنّه يجزى الجزاء الأوفى

ثمّ ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ خطأ بعض الناس في فهم هذه الأصول، وبالأخص الأصل الأول فقد ذهب جمع من العلماء بناء على ظاهر الآية إنكار حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: « إنّ الميت ليعذب ببكاء الحي عليه » لأنّه يناقض ما جاء في الآية بأنّه لا تزر وازرة وزر أخرى، فأزال ـ رحمه الله ـ هذا النوع من التعارض حيث قال :« وقد غلط في هذه الأصول من غلط فأخفهم غلطا من غلط في الأصل الأول من السلف فأنكروا قول النبي صلى الله عليه وسلم: « إنّ الميت ليعذب ببكاء الحي عليه »، وقد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم عمر وابن عمر، وابو موسى، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، وظنّوا أنّه مخالف للقرآن لتوهمهم أنّ الميت يحمل زور النائحة، وهو غلط، فإنّ النائحة تعذب على نياحتها ، ولا يحمل الميت شيئا من وزرها،

[1]ـ سورة النجم : الآيات 36 ـ 41.

ولكن هو يعذب بنياحتها فيصل إليه ألم بسبب نياحتها .....»«[1]»، ثمّ قال فيمن أخطأ في الأصل الثالث «وأعظمهم غلطا الذين غلطوا في الأصل الثالث، وهو جزاء الإنسان بعمله، فمنهم من أحبط حسناته بالكبيرة الواحدة ، وخلّده في النار أبدا، ومنهم من قال إذا ترجحت سيئاته على حسناته خلّد في النار أبدا»«[2]»، ثمّ تحدّث عمّن أخطأ في الأصل الأوسط فقال :« وأوسطهم غلطا الذين غلطوا في الأصل الأوسط، وهو قوله: وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى، فظنّوا أنّ المراد أنّ الإنسان لا ينتفع إلاّ بسعيه فقط ، فإذا قيل ليس لزيد مال إلاّ كذا، ولا يملك إلاّ كذا لم يكن ذلك نفيا، فإنّ انتفاع الانسان بإحسان غيره إليه ، وبإحسان الله إبتداء إليه كثير في الدنيا والآخرة ، من المعلوم بالتواتر أنّ الميت ينتفع بصلاة المسلمين عليه، وبدعائهم وبشفاعة الرسول، والحي ينتفع أيضا بالدعاء وبالصدقة، وغير ذلك ممّا جاءت به الأحاديث الصحيحة، وأجمع السلف على أكثرها وليس هذا مناقضا للآية ولا مخصصا لعمومها ولا مختصة بشرع من قبلنا»«[3]».

[1]ـ انظر: تفسير آيات أشكلت، ج 1 ، ص 452 ـ 454

[2]ـ انظر: تفسير آيات أشكلت، ج 1 ، ص 456

[3]ـ المصدر نفسه : ج 1، ص 456 ـ 458.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي أوردتها ، والتحليل الذي قمت به لكتاب الإمام ابن تيمية « تفسير آيات أشكلت »يمكن استخلاص واستنتاج جملة من النتائج:

1 ــ ضرورة الإلمام بعلم المشكل من القرآن الكريم ، والاضطلاع به ، لما له من أثر كبير في دفع كثير ممّا يوهم تعارضا وتناقضا بين آيات القرآن الكريم .

2 ــ وقوع الاستشكال وظهوره في القرون الأولى ــ عصر الصحابة والتابعين ــ ممّا يؤكد قدمه وأصالته ، وحرص الأوائل من الصحابة على رفع كثير من الإشكالات العالقة بأذهانهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وسؤلات التابعين لكبار الصحابة .

3 ــ اندراج استشكالات الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ، تحت قضايا أصولية متعلقة بالتخصيص والتعميم أو التقييد والاطلاق، أو قضايا لغوية متعلقة بغموض بعض المعاني ، وخفاء بعض مدلولات الألفاظ .

4 ــ تخصيص الإمام ابن تيمية كتابة (تفسير آيات أشكلت) لرفع كثير من الإشكالات حول بعض الآيات استعصى فهمها على كثير من العلماء، ولم يحرّر فيها الرأي الصواب ، فقصد بيان ما أشكل منها بالدليل الصحيح.

5 ــ توسع مصطلح المشكل ومدلوله عند الإمام ابن تيمية ليشمل كلّ ما استعصى فهمه ، وقصر إدراكه على العقول في جميع مجالات العلوم .

6 ــ انحصار أصناف المشكل عنده في المشكل النحوي ، والغريب ، وخفاء معاني الألفاظ ومدلولاتها ، والتخصيص والتعميم ، والتقييد والإطلاق ، وموهم التعارض .

7 ــ حرصه في دفع هذه الإشكالات على إتباع الأصول والقواعد والمعروفة في الترجيح من انتهاجه للترجيح بالقواعد اللغوية ، وكذلك حرصه على إتباع طرق التفسير بالمأثور وترجيحه على الآراء الأخرى .

قائمة المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، د ط، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية، دت.

ـ البحر المحيط في تفسير القرآن: أبي حيّان الأندلسي، د ط، بيروت، دار الفكر، 1426 هـ.

ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتّاح القاضي، ط 5، القاهرة، دار السلام ، 1432 هـ ـ 2011 م.

ـ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، ط 1، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، دت .

ـ التسهيل لعلوم التنزيل: محمد أحمد بن جزي الكلبي، ط 1، تحقيق عبد الرزاق مهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1425 هـ ـ 2004 م .

ـ التعريف على مهمات التعريف: عبد الرؤوف المناوي، ط1، القاهرة، عالم الكتاب، 1410 هـ ـ 1990 م .

ـ التعريفات: الجرجاني، ط 3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408 هـ ـ 1988م.

ـ الجامع المسند من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، ط3 ، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير ، 1407 هـ ـ 1987 م.

ـ العقود الدرية في مناقب ابن تيمية: ابن عبد الهادي، ط 1، تحقيق أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، دار الفاروق الحديثية للطباعة والنشر، 1422هـ ـ 2002 م .

ـ الفهرست: محمد بن إسحاق أبو الفرج ابن النديم: د ط، بيروت، دار المعرفة، دت.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413 هـ ـ 1993 م.

ـ أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن: مساعد الطيّار، ط 2، السعودية، دار ابن الجوزي، 1423 هـ .

ـ ايضاح المكنون: إسماعيل البغدادي، تصحيح محمد شرف بالتقيا ـ رفعت بيلكهالكليسي، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي، دت.

ـ تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ط 3 ، تحقيق عطية ضقر، السعودية ـ المكتبة العلمية ـ ، 1401 هـ ـ 1981 م.

ـ تفسير آيات أشكلت: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ط 1، تحقيق عبد العزيز بن محمد الخليفة، السعودية ـ مكتبة الرشد، 1417 هـ ـ 1996 م.
ـ جامع البيان في تأويل آيات القرآن: محمد بن جرير الطبري، ط1، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ ـ 2000.
ـ جمهرة اللغة: ابن دريد، ط 1، تحقيق رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، 1987 م.
ـ لسان العرب: ابن منظور، د ط، بيروت، دار المعارف، د ت.
ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: أبي محمد جمال الدين ابن هشام الأنصاري، د ط، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مصر دار الطلائع، 2009م.
ـ ملا التأويل: أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي ط 1، تحقيق سعيد الفلاح ، بيروت، دار الغراب الإسلامي، 1403 هـ ـ 1983 م
ـ هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، د ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د ت.